قلبه من صغر قدرها وما يترتب عليه من ضررها قال الامام رضي الله عنه سمعت الشيخ ابا عبد
الرحمن السلمي رحمه الله يقول سمعت النصراباذي يقول الزاهد غريب في الدنيا والعارف غريب
في الاخرة قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الزاهد على الحقيقة في الدنيا قليل نادر
والغريب من لم يجد له شبيها ولا انيسا ولا قريبا وكما ان الزاهد غريب في اهل الدنيا فكذلك
العارف غريب في اهل الاخرة وذلك ان اكثر العمال للاخرة انما عملوا خوفا من العقاب ورجا
لكثير الثواب والعارف بالله عز وجل الذي استغرق معرفته جلاله وعظمته بقلبه وتحقق
عنده وجوب العبودية له لحق امره وتعبده فهذا هو العارف بحق الله تعالى عليه
الذي لو لم يعذب به ولم يثبه لم يترك العمل له لصحة ملكه له وحق امره وتعبده فان من لم يعمل الا
خوف العقاب فلو زال عنه خوف العقاب لم يعمل شبيهه باسوا العبيد ومن لم يعمل الا
للثواب ولو لم يثب على عمله لم يعمل اشبه الاجراء المستاجرين ومن تحقق عنده صحة ملكه
لمولاه وعلم انه امره ونهاه وعمل لذلك ولحبه رضاه عنه كان متحققا العبودية لمولاه
وهذا غريب في ابنا الاخرة قال الامام رضي الله عنه وقيل من صدق في زهده اتته الدنيا
راغمة ولهذا قيل لو سقطت قلنسوة من السما لما وقعت الا على راس من لا يريدها قال
الشارح رضي الله عنه وهذا يحتمل وجهين احدهما ان الزاهد لا رغبة له في الدنيا ولا محبة له
في نعيمها ولا نيل درجاتها وما قدر الله تعالى له من قوته الذي لابد له منه اتاه رغما لصاحبه
له فهذا احد الوجهين الوجه الثاني ان الله تعالى لما امتحن الزاهدين بالدنيا فيوالبها
عليهم كما قال تعالى انا جعلنا ما على الارض زينة لها لنبلوهم ايهم احسن عملا وان احسن العمل فيها
الزهد فيها وبهذا الاعتبار قيل لو وقعت قلنسوة من السما لما وقعت الا على راس من لا يريدها
فهي تقع له ابتلا وامتحانا ولا ارب له فيها وليس هذا لكل الزهاد بل يحفظ الله تعالى بعضهم ولا
يبتليهم بها بالكلية ويحفظ قلوبهم اما لضعفهم او لقوتهم وما يعلمه منهم ولقد عرضت الدنيا
على نبينا صلى الله عليه وسلم ان تسير معه جبال تهامة ذهبا وفضة فقال يا رب اجوع
يوما واشبع يوما فاذا شبعت شكرتك واذا جعت تضرعت قال الامام رضي الله عنه وقال
الجنيد الزهد خلو القلب عما خلت منه اليد قال الشارح رضي الله عنه وهذا رد على من زعم
ان الزهد هو خلو اليد من الملك خاصة او ورد ما بايدي العبد وانما هذا اثار الزهد وعلاماته
بل الزهد على الحقيقة من اعمال القلوب وهو اخلا القلب من محبة الدنيا في الحفظ والرغبة
في التحصيل كان زاهدا قال الامام رضي الله عنه وقال ابو سليمان الداراني الصوف علم من اعلام
الزهد فلا ينبغي ان يلبس صوفا بثلاثة دراهم وفي قلبه رغبة خمسة دراهم قال الشارح
رضي الله عنه هذا فيه اشارة الى الزهد في القلب ليس بلبس الغليظ ولا باكل الخشن وان كان
هذا مما نافعا للزهد اذا صح الزهد في القلب اجتزا العبد بما يقوم بضرورة وقته من الخبز

والبرد

والبرد والجوع وربما كان هذا منه مداواة لمن يتقلل بظاهره ويظهر من الخسة شدة الرغبة
اذا تيسر له ذلك فاخبره انه ليس بزاهد لان الزهد ضد الرغبة وهو من اعمال القلوب وقد
يتقلل في الطعام واللباس الزاهد وغير الزاهد من يشح على نفسه بماله ومن جمعه لبعض اغراضه
قال الامام رضي الله عنه وقد اختلف السلف رضي الله عنهم في الزهد فقال سفيان الثوري
واحمد بن حنبل وعيسى بن يونس رحمهم الله وغيرهم الزهد في الدنيا انما هو قصر الامل وهذا
الذي قالوه يحمل على انه امارات الزهد والاسباب الباعثة عليه والمعاني الموجبة له وقال
عبد الله بن المبارك الزهد هو الثقة بالله تعالى مع حب الفقر وبه قال شقيق البلخي ويوسف
ابن اسباط وهذا ايضا من امارات الزهد فانه لا يقوى العبد على الزهد الا بالثقة بالله
تعالى وقال عبد الواحد بن زيد الزهد ترك الدينار والدرهم وقال ابو سليمان الداراني
الزهد ترك ما يشغل عن الله سبحانه سمعت محمد بن الحسين رحمه الله يقول سمعت احمد بن علي
يقول سمعت ابراهيم بن فاتك يقول سمعت الجنيد رحمه الله يقول وساله رويم عن الزهد
فقال استصغار الدنيا ومحو اثرها من القلب قال الشارح رضي الله عنه وهذه الاقوال كلها
بعيدة عن الزهد الا قول الجنيد فاما الثوري واصحابه فحدوه بالحامل على الزهد وهو قصر
الامل فان من قصر امله قلت رغبته واعرضت عنها همته واما من قال الثقة فهذا ليس من اسباب
الزهد بسبيل بل هو من اسباب التوكل فان من وثق بان الله تعالى ياتيه بما ينفعه وقت حاجته
اعتمد بقلبه عليه وهذا التوكل وقد يكون الشخص شديد الرغبة في الدنيا محبا لكثيرها حريصا
ويثق بقلبه بان الله يفتح له بها واما قول عبد الواحد بن زيد رحمه الله ترك الدينار والدرهم فهذا من
ثمرات الزهد لا نفسه فان من قلت رغبته في الشي وصغر في عينه لم يحفظه ولا حرص عليه وبذله
لمحتاج اليه وهو ثمرة من ثمرات الزهد ولم يعم كل ما يزهد فيه بل بعضه فان الزهد يجري في غير
الدينار والدرهم من المطعوم والملبوس والجاه والراحة من التعب في الدنيا واما قول ابي سليمان
الداراني رحمه الله فهو راجع الى المزهود فيه وعبر عنه بالترك الذي هو غير الزهد وقد
يترك الانسان ما يشغله عن الله لا لصغره عنده ولا لزهده فيه بل لشغله بما هو اشرف
منه وافضل واشد هذه الاقوال واجراها على مقتضى اللغة وحقيقة الزهد شرعا هو قول
الجنيد وهو قوله استصغار الدنيا ومحو اثارها من القلب وهو كما قال شيخه المحاسبي
رحمهما الله استصغار الدنيا والعزوف عنها والعزوف هو الاعراض عن الدنيا استصغارا
لها فمن اعرض عن الدنيا استصغارا لها حتى لم يبق لها في قلبه اثر لا محبة ولا ميل ولا
ذكر ولا لها لصغرها عنده فهو كامل في الزهد قال الامام رضي الله عنه وقال السري لا
يطيب عيش الزاهد اذا اشتغل عن نفسه ولا يطيب عيش العارف اذا اشتغل بنفسه
قال الشارح رضي الله عنه وذلك ان الزاهد شغله باعراض نفسه عما تلتفت اليه

ملتفته

Copyright © King Saud University